لمحاضرة الثالثة	نشاة وتطور الانثروبولوجيا

عناصر المحاضرة

تمهيد

أولا: التفكير الانثروبولوجي في الحضارات القديمة

1-في الحضارة الاغريقية

2-في الحضارة الرومانية

3- في الحضارة الصينية

ثانيا: التفكير الانثروبولوجي في العصور الوسطى

1-العصور الوسطى عند الاوروبيين

2-العصور الوسطى عند العرب

ثالثا: التفكير الانثروبولوجي في عصر النهضة

رابعا: الانثروبولوجيا في العصر الحديث

يعتبر الفكر الانثروبولوجي أحد أشكال التفكير الحتمي لظهور البشرية، فالمجتمعات البشرية حسب المؤرخين مرت بمراحل تطويرية عديدة لتصل إلى ما هي عليه، فالتفكير الإنساني في مراحله الأولى صب مختلف اهتماماته على نشأة الحياة الاجتماعية والتغيرات التي مرت بها الحضارات الأولى، وفي هذا السياق يمكن القول بأن الانثروبولوجيا كفكر قديمة قدم الانسان حيث تتجلى في أدبيات بلاد الاغريق وتظهر كذلك في تاريخ الرحالة *(يرجح أن الرحلة التي قام بها المصريون القدماء 1493 إلى بلاد بونت الصومال حاليا تعد أقدم الرحلات التي جسدت التعارف بين الشعوب كان الهدف منها تبادل البضائع النفيسة حيث صور النقوش في معبد الدير البحري لاستقبال ملكة بلاد بونت لمبعوث مصر .*

أولا:في العصور الفديمة: (من قبل الميلاد الى القرن 4)

1-عند الاغريق: ان الحديث عن الحضارة اليونانية يقودنا الى الحديث دون شك عن اسهامات ارسطو وافلاطون والتي كانت تعد بمثابة القاعدة الأساسية لكل العلوم الاجتماعية والإنسانية ومنها الانثروبولوجيا رغم الانتقادات اللاذعة التي تعرضت لها (افلاطون حاول تقديم صورة حول ما يجب ان يكون عليه المجتمع اما ارسطو فقد قدم وصفا وتصنيف للحكومات ودراسة للنظام السياسي الذي يعد أحد أهم النظم الاجتماعية في الدراسات الانثروبولوجية إضافة الى تناولها للفكر التطوري للكائنات الحية وذلك من خلال ملاحظاته وتاملاته في التركيبات البيولوجية

يعد هيرودوت(مؤرخ اغريقي *عاش في القرن5 قبل الميلادي)*أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة التنوع والفوارق بين الشعوب من النواحي السلالية والثقافية واللغوية ويقال أنه أول أنثروبولوجي عبر التاريخ، حيث يعتبر أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة على عدد كبيير من الشعوب غير الأوروبية (50 شعبا) حيث تناول بالتفصيل عاداتهم وتقاليدهم وملامحهم الجسمية وذلك وفق المنهج الاثنوغرافي المتعارف عليه في العصر الحديث

2-عند الرومان: لم تكن هناك اسهامات كبيرة تضاف إلى هذا العلم باستثناء أشعار **كاروس لوكارتيوس** حيث تضمنت بعض الأفكار الاجتماعية أين تحدث فيها عن الإنسان الأول والعقد الاجتماعي ونظام الملكية والحوكمة ونشأة اللغة إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى حيث يرى المؤرخون أنه استطاع أن يصيغ مسار البشرية ابتداء من العصور الحجرية إلى البرونزية ثم الحديدية حيث تتطابق مع أفكار **لويس هنري مورغان** في القرن 19.

3- عند الصينيين القدماء :كان الصينيون مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية لذلك انحصرت تجارتهم الخارجية فقط في تبادل السلع السلع والمنافع ، فلم يهتم الصينيون القدماء بالثقافات الاخرى خارج حدودهم رغم اعجابهم بالحضارة الرومانية فلم يجدوا فيها ما ينافس حضارتهم واعتقدوا انهم افضل خلق الله ولذلك بنوا سور الصين حتى لا تدنس أرضم باقدام الاخرين)

كانت كتابات الصينيين لا تخلوا من الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية والتي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار حيث ركزوا على أخلاق وشؤون المجتمعات البشرية، لأن معرفة الأنماط السلوكية التي ترتبط بالبناء الاجتماعي تسهم في تقليل الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع والذي يكشف عن أفضل الطرائق للتعامل معهم فيما بعد.

ثانيا:العصور الوسطى: (ق4 إلى ق 14) واصطلح عليها بهذه التسمية كونها ارتبطت بتدهور الحضارة الأوروبية وارتداد الفكر إلى حقبة مظلمة كما توسطت نهاية ازدهار الفلسفات الأوروبية القديمة وبداية عصر النهضة الأوروبية والعصور الوسطى تنقسم إلى قسمين:

1-العصور الوسطى في أروبا: أظهرت هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة على بعض الشعوب إلا أنها اتسمت بالوصف التخيلي (*بعيدة عن المشاهدة المباشرة على ارض الواقع)*على غرار ماقام به الأسقف **ايسيدور isidor**(565-636) حيث أعد في ق 7م موسوعة عن المعرفة وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم ولكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز حيث جعل من قرب الشعوب أو بعدها عن اوروبا مقياسا لدرجة تقدمها، حيث كلما كانت المسافة بعيدة كلما كان الانحطاط والتدهور الحضاري ووصل به الأمر إلى وصف أولئك الذين يعيشون في أماكن نائية بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن 13، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي **باتولوماكس BATOLOMACUS** والتي حظيت بشعبية كبيرة رغم أنها لم تختلف كثيرا عن سابقتها من حيث الاعتماد على الخيال.

2-لعصور الوسطى عند العرب المسلمين: اتسمت بالتطور الفكري والعلمي والاجتماعي متمثلة في المؤلفات المختلفة والاكتشافات والاختراعات في شتى الميادين والتي غداها الاقبال على العلوم الاسلامية وغيرها من علوم الفرس والهند

واليونان فبعد انتشار الاسلام ظهرت بوادر التقدم الحضاري وتوسعت الفتوحات الاسلامية التي كانت تهتم بدراسة أحوال الشعوب في البلاد المفتوحة التي أصبحت من ضروريات التنظيم والحكمولذلك سعى العرب إلى وضع المعاجم الجغرافية كما هو الامر عند **ياقوت الحموي** صاحب كتاب ا"لبلدان" و"المقدسي" و" احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" كما اشتهر البعض منهم بالرحلات وتدوينها أمثال "**ابن بطوطة**"*(من اعظم الرحالة المسلمين قاطبة واكثرهم طوافا سافر لمدة 28 سنة متواصلة حيث سافر فيها إلى مصر دمشق الجزائر المغرب الهند والصين وللعلم طبعت رحلة ابن بطوطة في باريس في منتصف القرن20 على يد المستشريقين deferemorye)* حيث تميزت بالطابع الانثروبولوجي، وذلك من خلال وصف حياتهم اليومية وطبائع شخصياتهم، وأنماط سلوكهم، وقيمهم وتقاليدهم (*فما كتبه في استحسان أفعال اهل السودان فمن افعالهم قلة الظلم وهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحد في شيء منه ومنها شمول الأامن في بلادهم فلا يخاف المسافر ولا المقيم من سارق ولا ناصب واموال موتاهم لا يتم الاستلاء عليها بل تحفظ حتى تسلم لمستحقيها*"كما ساهم أخرون في وضع الموسوعات الكبيرة " كمسالك الامصار" لابن الفضل العمري والنويري الذي كتب الارب في فنون العرب إلى جانب اهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران فقد تميزت عاداتها بالاعتماد على المشاهدات والخبرة الشخصية وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الانثروبولوجي دراسة الشعوب والثقافات.

برز في هذه المرحلة ايضا الفيلسوف والمؤرخ **ابن خلدون** بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر قد نال شهرة كبيرة بسب مقدمته الرئيسية التي سجل من خلالها الحياة الاجتماعية لشعوب افريقيا ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية في محاولة منه لتفسير كل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة لتشكل فيما بعد مقدمة ابن خلدون محورا رئيسا في الدراسات الانثروبولوجية.

(*ومن أهم المواضيع الانثروبولوجية التي تناولتها مقدمته العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية فقد حدد اختلاف البشر في الوانهم ومزاجهم النفسي وصفاتهم الجسمية والخلقية إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها ايضا عاملا مهما في تحديد المستوى الحضاري كما تحدث أيضا عن حياة الجماعة البشرية وحياة الكائن الحي*).

ثالثا:الأنثروبولوجيا في عصر النهضة الاوروبية: يسمى بعصر التنوير عرفت نهاية القرن 14 حركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية ما ادى إلى الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي لدراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية كل هذه التغيرات وغيرها ساهمت في بلورة الانثروبولوجيا فقد اسهم عصر النهضة في زيادة رحلات الاستكشاف ومن أهمها رحلة **كريستوف كولومبس** إلى الامريكيتين فمن الناحية الانثروبولوجية نجد أن مذكراته عن رحلته ومشاهداته واتصالاته مع الأهالي قد كانت غنية بالبيانات الإثنوغرافية وقد كان لكتاباته الاثر الكبير في تغيير النظرة إلى الانسان عامة والانسان الاوروبي خاصة وقد تميز عصر النهضة الاوروبية بظاهرة كان لها تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والانسان وهي أن المفكرين اتفقوا على الرغم من تباين اتجاهاتهم على مناهضة فلسفة

العصور الوسطى اللاهوتية التي أعاقت فضول العقل الانساني إلى معرفة أصول الاشياء ومصادرها وصفات الانسان الجسدية والعقلية والاخلاقية.

وفي مجالات الاثنوغرافيا والإثنولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية فهناك الكثير من الاعمال والاعلام أبرزها الرحالة الإسباني **جوزيه اكوستا** 16ربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الاصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية المحاولة الأولى لتدوين المادة الاثنوغرافية والتنظير بشأنها.

أما فترة القرن التاسع عشر فقد احتلت كتابات **جون جاك روسو** أهمية كبيرة لدى مؤريخي الانثروبولوجيا نظرا لما تضمنته دراساته للشعوب المكتشفة المجتمعات البدائية مع المجتمعات الغربية الأوروبية، أما في المانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير عن التفوق العنصري والنزعة القومية الشوفنية (التعصبية) وظهر ذلك واضحا في كتابات كل **من جورج هيجل** وكتابات **جوهان هيودر** لتعزز فكرة التمايز بين السلالات البشرية من ناحية الترتيب الجسمي والتفاوت فيما بينها بمدى التأثر بمظاهر المدنية.

رابعا:الانثروبولوجيا كعلم قائم بذاته(النشأة الاكاديمية): برزت الحاجة إلى علم شامل يدرس الانسان دراسة شاملة عكس العلوم الاخرى التي تكتفي بجانب معين فالانثروبولوجيا لا تكتفي في البحث عن الجوانب الفيزيقية فحسب بل تتعداها إلى دراسة الخصائص والمقومات البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي أو الحاضر، ومن ثمة نتحدث عن نشأة الانثروبولوجيا كعلم مستقل عن الفلسفة نظرا للمراحل الفكرية والجذور التاريخية التي تشكلت عبر العصور المتوالية فقد شكلت لنفسها طابعا أكاديميا متخصصا، حيث بدأت في التبلور مع بدايات القرن التاسع عشر أين بدأ يتشكل علم جديد له مناهجه وموضوعاته البحثية التي تعلقت بماضي وحاضر ومستقبل الانسان ;ومن أبرز العوامل التي بلورة ورقي الفكر الانثروبولوجيا يلي:

-**الثورة الفرنسية(1987-1799):** حيث ركزت مبادئها على أهمية الانسان وحريته وكرامته وحملت معها فكرة التقدم (حسن فهيم، ص38)

-**الثورة الصناعية أواخر القرن 18:** شهدت الإنتقال إلى عصر الآلة واستغلال الطاقة الأمر الذي أثر على نمط الأسرة ونظم القرابة والتغير في شبكة العلاقات الاجتماعية.

-**الثورة العلمية والتكنولوجية:** والتي نتج عنها التوسع الاستعماري حيث بسطت أوروبا ظلها على جميع أرجاء المعمورة ونواتج هذا التحول في المجالات العلمية والاكتشافات والثورات التي خلفتها الحرب العالمية الاولى والثانية وبداية البحث في مجالات علمية خاصة كالطب والتشريح وعلم النفس.

-**الجمعيات والمجلات العلمية:** كان لها الدور الأكبر حيث دفعت نحو التخصص المهني والاستقلالية العلمية هذه الجمعيات كانت تجمع رجال الفكر والسياسة الذين استطاعوا بأموالهم تمويل عديد الرحلات والمشاريع البحثية والدراسات الاكاديمية واول جمعية كانت "ملاحظو الانسان" في باريس سنة 1800 توالت بعدها الجمعية الانثروبولوجية عام 1839 بباريس وتكونت بعدها الجمعية الملكية الانثروبولوجية، وتعد أكبر مدرسة للفكر الانثروبولوجي في بريطانيا.

الحكومات والجامعات والمتاحف: حيث كان لها الفضل في بعث هذا العلم والقصد منه الاستفادة العلمية وقامت كل من الجامعات والمتاحف بنفس الدور في اطار التطلعات الاكاديمية.

-**الرحالة والمبشرين والإداريون:** شكلت هذه المجموعة مصدرا هاما للمعلومات الوصفية في المجتمعات المدروسة خلال القرن 19 الامر الذي استفاد منه المفكرين في تكوين نظرياتهم وتدعيمها بالأدلة التي كانت تقدم وصف العادات والتقاليد للشعوب التي زاروها كما الحال "**لاندرو باتال**" عند وصفه لسكان الكونغو او ما كتبه القسيس البرتغالي "**جيروم لوبو**".